وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

سلافة الروح



راتب سكر

سلافة الروح !

تصميم الغلاف

فراس نعوف

راتب سكر

سلافة الروح

شعر

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١٢م

ملاحظة ١: «كتبت قصائد هذه المجموعة على جناحي السفر في أمكنة قريبة وبعيدة مختلفة، بين عامي ٢٠٠٦- ٢٠١١».

ملاحظة ٢: نشرت هذه القصائد منجّمة في مجلتي المعرفة والموقف الأدبي، وصحيفة الأسبوع الأدبي.

سلافة الروح / راتب سكر . - دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٢م . - ١٤٤ ص ؛ ٢٠ سم.

(من الشعر العربي؛ ٢٠٠)

١ - ٨١١,٩٥٦١ س ك ر س ٢ - العنوان
٣ - سكر ٤ - السلسلة

مكتبة الأسد

من الشعر العربي

«٢٠٠»

إهداء

إلى ناعورة الدهشة ..

أستاذة وجارة وصديقة!

لهفة المشوق وحنينه!

حنينه!

لجوادٍ من صهيل

تاه دهراً في الصحارى

من غياب لغيابْ

أغمض العين طويلاً

في ملاهيها

أرى منْ عدوه وقعًا حزيناً

تسرحُ الرؤيا

كتطريز الأناشيد

بأوراق كتابْ

فارسٌ هامَ على صهوتِه

ناديتهُ: يا صاح
أعطاني نشيدًا أخضرَ الروح
وصوتي كان مجنونَ الرؤى
أسلمَ أنّاتِ لياليه
إلى أرضٍ خرابْ
هذه لهفةُ روحي
رتّبتْ شعري
رسولا ضاقَ صبرا
وكتابًا تاقَ شوقًا
وانحنتْ فوقَ سريري
ترجمانًا لمشوقٍ
هامَ دهرًا في البراري
صارخًا: ليلى
وليلى لم تزلْ هيمى
بنايات أناشيدي

وتفسيرِ غموضي

من خطابٍ لخطابْ

كمْ رأتني عائدًا

أحدو مسيري

رافعًا صخرةَ حزني عاليًا

بين حضورٍ وغيابْ.

لهفته!

لحصان جامح

يطوي فلاة من غموض

لكتاب الحزن في دالية الأيام

أنشودة شوق وأنين

هذه الدنيا كروم

أينعتْ في موسم النور

ومن أهوى غفتْ تحلم بالشعر

وعوداً في دنان من ضياء

وتهادت في ظلال من نخيل

ناعس الروح حزين

أخبرتني من بعيد سرّه

خبَّأْتُهُ في الصدر

أطوي جرح أيامي بمنديل

تهادى في أغانيهِ

على سندس بوح من حنين!

عديّة الدنيا !

(في عام ٢٠١٠، نقلته المؤسسة التي توظف فيها في حمص عام ١٩٨٥، إلى فرعها المحدث في حماة، فسئل عن صحبة ٢٥عاماً.. وقد علّموه صغيراً أن الله يسأل عن صحبة ساعة).

مالي أكابر!

لا أبوح بما ضناني

والأغاني تصدحُ الأنغام

في ساحاتها

عقدتْ لباب العشق

أقواساً

صفوفُ العاشقينَ

تدافعُ العربات

ظافرةً إلى أقواسها

تعدو غزالاتُ الضياء

على دروب تشوقي

لنجوم بهجتِها

تشعّ على مواكبها

بحضن سمائها العالي

وسحرِ مداسِها

كم رتّلَتْ: شكرًا لحمصَ !

رعتْ شبابي

تائهًا حيرانَ

في فلواته

وهدتْ خطاه

إلى صفاء صحابِه

كم أطلقوا سهر الليالي

ساحر اللفتات في موّالها

كم أرْقَصُوا الكلمات ضاحكةً

تساكنُهم مناهلُ

من سُلافةِ طبعها

رنّتْ على أوتارِ رحلتهم

مباهج من مفاتنها

ونورٍ من سموّ حضورها الطاغي بطلعتها

إلى شرفاتها

كأميرةٍ طلعتْ منَ العلياءِ

مشرقةً وراضيةً

وحانيةً على عشّاقها

فحبا الوجودُ

على بساط بهائها

متدفّقَ الأشواق

رقراقَ الرؤى

بمدام ضحكتها

تسربلَ في أغاني الوجد
معناها
تقطّر في خوابي الدهر
منتشيًا حنانًا
من شذا أنفاسها
هي حمص أعرفُها
إذا ضحكتْ
فكم رتّلْتُ أشواقي
لطلعتها العديّة
كم حنتْ يدُها على روحي
وما أنا غير دنٍّ من وفاءٍ ساهر
يرعى النجوم
تعلّقا بدروبها وأناسِها
وأنا الصدى الهيمانُ
لو نسمتْ على وادي حماةَ

جنوبُ جارتها

وهلَّ المشتهى من غادة العاصي

يبوحُ بما يشوقُ ظلامَ أوهامي

ونشوةَ أضلعي

وبما يهيج النفس

من جمر الحنين

إلى العدية في سنا ميماسها.

سرحتْ بقاع النهر آمالي

دفعتُ براحتي موجاتها

أرنو لجسر الرستن العالي

كوشم الذكريات

على ضمير الوقت

يصرخ: صاحبي..!

فأجيب مندفعا

مشوق الصدر

- لا تغلقْ صنابيرَ السدود

على الكلام

ودعْ سلامَك باهياً لصحابه

بسفوح تلّتك الجميلة

كالزمان

إذا تبسّمَ في ثغور الغِيد

منحدرًا بمنعرج اللوى

يرفو أمانيه برمل غيابه

صورا مطرزة بدمع عذابه

مالتْ معَ الصفصاف راجعةً

إلى العاصي

طروباً ناعساً بغنائه

فهدى خطاها في دروبِ عطائه

هدلَ الحمامُ

بجامعِ ابنِ سراجَ

ينقر حبّ جعبتها ويحرسها

وينهلُ من شرابِ جرارها

وكؤوسها

فرحاً بضمّ كلامها

وطقوسها

فتجاوبتْ لهديلِه

أصفى بتولٍ

في سنا زنّارها

برنينِ فجرِ العيد

من أجراسها

لعديّة الدنيا التي ضحكتْ

بليلِ فتونها

هدلَ الحمام

وكان قلبي ساهرًا

متعلّقًا بشجونها

يرعى النجوم

كأنها حرسٌ بليل الودّ

تحرسُ أهله

وكأنّه في خفقِه وجنونِه

من طين ليلتها

يسرّ هوى مودّته

لسحر عيونِها

ويطيلُ وقفتَه بصحنِ ديارها

يدُهُ تضيءُ زمانَها بشموعها

وتراقصُ الأيّام زاهيةً

برنّة ضحكِها ودموعِها

سهرتْ مرتّلةً بأبواب الليالي

حدبَها العالي

على حرّاسها!

لعديّة الدنيا

أرتّل في المساء
مطمئنًا صوتي
بسحرِ نشيدها
ومردّدا سور النساء
لعلّني أرفو
قميصَ غيابهنّ
على بساط قصيدِها
تحنو على روحي
وتمنحني صفاءَ وجودِها
أنشودةً من ناردينٍ خالصٍ
قلبي على أنشودةٍ ضحكتْ
برنّة كاسها!
لعديّة الدنيا
لشاعرها المعذّبِ
في رمادِ الحبّ

ديكِ الجنّ

عرفاني

تدلّى يانعًا بغصونِها

خلعا على جرحي

برودَ الشعر

فابتردتْ منَ الحمّى

جراحُ مواجدي

ومضيتُ في دربي

دليلي في رحيلي

ما تراءى من رفيفِ النور

يرشدُني إلى نبراسها..!

على أبواب صاحب بريد الموصل ..!

- ١-

يا سيّدي

وأميرَ أوراقي الصغيرة

سامحْ غفلَتي

عن دهرِها

وأعنْ عثارَ توهّمي

وجنون خطوتِه

يحثّ شرودَ لهفتِها

سراجٌ خافتٌ

نعستْ بظلّ نشيدِهِ

خضرُ الوعود
يشوقُها
أملٌ تخبّأَ في صناديق البريد.

-٢ -

هاجتْ على أهدابِها
الأحلامُ ساحرةً
ينوسُ على صهيلِ الخيل
هاجسُها
فتركع في سجودٍ حائر
ترمي السلامَ تحيةً
لمشوقِها
وتهيمُ راسمةً وعودًا
في جرارِ شرابِها
كم أشعلتْ

في صمت ليلتِها
من الكلمات
ترفو ما تمزّق
من قميص وعودِها
لتنامَ ساحبةً
بساطًا من حبور
في قناديل البعيد.

-٣-

مالي؟
أُطيلُ توقّفي في الباب
أسألُ عن مدير بريدِها
ورسائلي سبقتْ سؤالي
تنهبُ الطرقاتِ حائرة
وقد قفلَ الزمانُ حروفَها

دهرًا
بأقفالٍ ثقال
نامَ في أسرارِها زَرَدُ الحديد.

-٤-

أبوابُها مكسورةٌ!
لا أصدقاء يرتّلون:
نشيد «عمّوريّة انصرفتْ»
ولا طير المساء
يعيدُ ترجيعَ النشيد.

-٥-

أعرفتَني يا سيّدي؟
أنا طائر الأشواق
تكسرُها البراري
في رمال الروح

يابسةً..

وتحيا، إذ ترى في وهجِها

غصنا رطيبا حانيا بشرابها

معَ رفّةِ الطيرِ الغريد.

-٦-

أمديرَ أوراقِ البلاد

- ولا عدمتك من مدير -

إنّني أهذي على الأبواب

فافتحْ كي تراني

بُحّ صوتُ أبي

ينادي في مسيراتِ الحشود

لعلّ معتصمًا

يردّ هتافَ لوعتهِ

ويجبرُ ما تكسّرَ من بهاء نشيده

لوجوده الحر الكريم

ألمْ تعدْهُ بأنه حرّ

ومنْ شعبٍ سعيد .

- ٧-

خبّأتُ في لغةِ الطيور

قصيدةَ الأملِ البصير

براحةٍ كبرى

ففاضتْ في مباهجها

دروبُ المجد

رافعةً بيارقَها

تصفّق للحياة عزيزةً

وترتّلُ الألحان

للعيش الرغيد.

- ٨-

طال انتظاري

مرّتِ العربات

حاملةً بريدَ بلادِها

والنارُ تنهبُ صوتَ روحي

- يابسًا إلاّ منَ الأملِ المرجّى -

صارخًا في عتمةٍ بريّةٍ:

من لي بحرف من نشيد مديرها

كي أحتمي بجداره

سقط الخراب على الخراب

وطال عري توهمي

تكوي الصحارى طينه

في كل يوم من جديد.

-٩-

أنتَ الذي وعدَ النشيد

- ورنّةَ المعنى -

بمعتصم يعيدُ بهاءه

ما زالتِ الراياتُ خافقةً

على تلاّتِهـــا

وبنفسجُ الشرفات

يرعاها بلحنٍ حائرٍ

رنّت على أوتاره الذكرى

فحارَ مفسّرًا بدخانها نارًا

تحدّت ظلمةَ الزمن العنيد.

على أبواب مصر!

كانت سماء القاهرة تسقيه سلافة الصداقات والحب، فعارض قصيدة ما من عام ٢٠٠٦.

-١-

هي «مصر» تدعوني
فأدخلها أميناً آمناً
القلب يسبقني إلى الأهرام
والروح التي خشعت
تصلّي في شواطئ نيلها

-٢-

صوتي وشاح سحابة شرقيّة

غطّت بترتيل دمشقي

هلالاً ساهراً

فمضى يطير على جناح

من سنا ترتيلها.

-٣-

مرّت حشود من توهم خاطري

فمضيت أبحث في قوافلها

فربّ أخٍ

أضعت قميصه

في غيهب الجبّ البعيد

يردّ صرخة لهفتي ندماً

ويرجع في جناح سفينة سيارة

غطت رمال الأرض أقدامي

فتاهت في دروب رحيلها.

-٤-

روحي تنادي "مجدليتها"

مطمئنة يباب توهمي

بوشاح طلعتها

وسحر ضيائها

قلبي ربيع أخضر اللفتات

تسكره دنان بهائها وفتونها

ما أطيب الأنوار

في أجران عرس "جليلها"

-٥-

ليت الندامى يسكبون كؤوسهم

ظمئت ضلوعي

لا ترى في أفقها طيناً يفسرها

ويكتب في الدفاتر

شوقها لمرادها

وحنينها لخليلها.

-٦-

طال انتظاري

يا خليليّ اسكباها صرفة

ظمئت ضلوعي

لا ترى في أفقها طيناً

يواسيها

ويمنحها شفاء غليلها.

- ٧-

هذا المغني حادب بربابة

والقوس يسحب

في الدروب أنينها

صدحت هداها

في نشيد دليلها.

- ٨-

تعبا يراوغني الدليل

مضللاً بربابه نفسي

فكم حارت خطاها

في قيود غبارها

كم جرّحت كفاً تساكنها

وكم ولغت بعتم الليل

في تضليلها

-٩-

تاه المغني ساحباً أوتاره
يلهو على نغماتها وظنونها
والموج يضرب مركب الأشواق
حائرة على سجادة الأوهام
تغزلها بفيض جنونها
من لي بقنديل المنارة صاحباً
تاقت دياجي الروح
للأسرار في قنديلها!

-١٠-

كانت ترفّ على مياه النيل
أشواقي
ويأخذني حضور
من بهاء لا يبين
فأين أصحابي
أعين بهم مراكب صبوتي

لغد قريب

يكنز الأنوار في طرقي

ويبدل وفرةً

- رزقاً حلالاً طيباً -

بظلام عثرتها

وجدب قليلها.

- ١١ -

هي "مصر"

تدعوني، فأدخلها

أميناً آمناً

تحنو على صلصال روحي

متعباً بشجونه

وتظلّ ما يقسو الهجير به

من الكلمات في لغتي

بفيء حنانها ونخيلها.

-١٢-

هدلت على أبواب "مصر"

حمامة

رقت لها سحب العتاب

فطار يحملنا

على عربات ما باحت به

بهديلها

-١٣-

هي "مصر" تعرفني وأعرفها

بساتيني معلقة على أهرام "جيزتها"

ودمع العين منسكب بواديها

يهلّ صبابة

مع دفقة الأمواج

دافعة مراكب نيلها.

نوافذ موصدة!

«غدا المنزل المطل
من الطابق الثالث في البناء المجاور --
على ناعورة الدهشة في شارع باب النهر
عاتم الضوء، موصد النوافذ..
انتقل جاره وصديقه طلال عواد إلى دمشق..
فسّر في النوافذ الموصدة
وجها جديدا لقسوة الوقت..»

- ١-

جاء المساء..
ولم يجدْ سحبًا
تطير به

فحار مفسرًا إغلاقَ نافذة

تطلّ على خبايا الروحِ موصدة

بألواح من الخشب العنيد

كأنها اختزلتْ سجونَ الأرض

في كلمات!

-٢ -

هي شرفةٌ خرساء

إلا من بهاءِ غموضها العالي

وريح طرّزت بالضوء أغنيةً

تشعّ مصابيح الوجود

على بساط الذكريات.

-٣ -

حار الضياء

على ظلال مواكب الأصحاب

يسألهم نشيدا باقيا

من لعبة الغيم المسافر

في دروب

لا تمل من الشتات.

-٤-

ثمل المكان لتستقرّ خطوطه

هدأت مخاوفه

وغاب على جناحٍ

من مباهجهِ

كأن زمانَ صحبتهِ

توهّمُ واهمٍ

وكأنه حلمٌ

بجفنِ الأمنيات

-٥-

أنا صورتي حجرٌ

تفتّتُه السهامُ إلى سراب

حار يشربُ من معانيه الغمام

مطرزًا أجرانَ خمرتهِ

بساقية الحياة

-٦-

جاء المساء

على جناح ظلامه

حارت تطرّزُه الخيوط

بما تبقّى:

من سهامٍ تجرحُ المعنى

بكأس ضميره الفنان

أشرقَ من ثمالات الدواة.

- ٧-

جاء المساء

على جناح ظلامه

سأل الوجود

عن المصابيح التي ترفو الطريق

ولم يجد سحبا يطير بها

فأطلقَ شوقه سحبا

وطارمحوّلا بهدوئه

قلقَ الوجود

إلى صلاة!

صبيّة أشرق نورها !

لصبيّةٍ رنّت بضحكتها
على ألواح وجداني
أقدّمُ من صناديق الجنون
هديّةً
فكّتْ شرائطَها
ومالتْ في تراقصها
على أنغام ألحاني
تبعتُ خطا تمايلِها
رآني في طريقي عاذلي
فأشارَ يتْبَعُني، وسمّاني

هربتُ من الخصومِ

مضلّلا أشتاتَهم

أطوي الفلاة

على جناحٍ من جموحِ الشوق

يحملُني على أرجوحة الأوهام

في رفقٍ وتحنان

ومنْ أهوى يعرّشُ صوتُها

في راحتي

كم باعدتْ عن وجهي العثراتِ

تفرشُ في الدروبِ وعودَها

كم ثبّتتْ في الليلِ إيماني

نشيدي في الكتابة سارح

بفلاتها السمراء

والدنيا مغردةٌ بضحكتها

تطارحني شجونَ قصيدتي

بغنائها العالي

أرى في البعد واحتها

تميسُ برجعتي طربا

أعابث ما تهادى

منْ نسائمها

فتكتبني على ألواح رقصتها

كفيضِ النورِ

في أغصان بستاني

ووادي جارح

قانون عشقي سارح

بدمي، يعلمني الفصاحةَ

أشرقت لغتي بطلعتها

وباحتْ بالمجازِ

كبوح طيرٍ صادح

ما بينَ أغصانٍ وأغصان!

بيان المثقل بالتنائي

سلامٌ على مثقلٍ بالتنائي
وقد باعدتْ
سكرةُ الدهرِ رَحْلي
يدي لوّحَتْ من بعيد
كأيدي سكارى
يغيبونَ ما بينَ وادٍ وتلِ!
وحيدا أنادي
تغطي المسافاتُ صوتي
وأي الغيابات يكفي لقتلي!
سؤالي قتيل غريب
مسجّى على باب وهمي

فمي يابس في الأغاني

وعمري طريد

بغابات جهلي

وحيدا على شرفة من ظنون

تعرّت ونامت

بأرجوحة في مسائي

حَنَتْ قربها أمّهات

يبادْلَنَنِي شوق روحي بشوق

ويطلعن عشب الأماني

برملي

سلام على مثقل بالتنائي

سلام على أمّهات من النور

يغْسِلْنَ صُبْحاً تجلّى بهيّا

على شرفةٍ من ظنون

ويعذرْنَ صمتي وجهلي!

مضى عن دروبي

ربيع الأماني

وناحتْ حماماتُ حزني

بقربي

فأشجتْ بنوحٍ خرابي

ومالتْ بحدبٍ حنون

تناجي زماني

خريفٌ يغطّي كتابي

بأوراقه صفرةٌ من فراق

فمنْ لي بورد

ومن لي بفلّ

ظلامٌ يغطّي دروبي

يشدّ الليالي بكتّان حزن

تدلّى على غربةِ الروح

يكوي وعودا

بأغصان زيتونة

في بساتين سهلي

لقد شحّ

زيت المصابيحِ في دارها

دافعا وعدَ أسرارِها

في غيابٍ تناءى

وغطّى رمادٌ حزين

بقايا جنونٍ خبيء

بنيرانِ أطمارها

يا لها ساعة من عتاب!

أضاءت بها عتمتي في حياء

ولاحت مناديل صحبي وأهلي

سراجي وجيع

تدلّى بصحراء طيني

سميرًا لأوجاعِ صوتي

وناجى شجوني

بحبّ عظيمٍ تهادى

على فسحة من سرابي

عصافير وهمي تغني

تهيج انكسار المعاني

على بوح لحن غفا في ربابي

نحيب بأوتار عودي

يغطّي رنيني

ويخفي وراء انكسار المعاني

خبايا جنوني

وقاري رشاد اصطناع غبي

أعالي البحار التي حاورت عنفواني

طوت رايةً واعدتني بحبّ

وأَغْرَتْ سفيني

ظلام .. ظلام..

يغطّي مصابيح صوتي

ويكوي بقايا أنيني !

فمن لي بصحب وأهل

يعيدون لحني طروبا شهيا

ومن لي بأقمار ليلي !

الأصدقاء الثلاثة

"على هامش ندوة أدبية

في النادي الأدبي اليمني في القاهرة..

امتدّ به السهر مع صديقيه العدني والصنعاني..

فوجد الورقة الآتية تحت وسادته في الصباح!"

عبد الله ابتسمت شفتاه!

وبغابات الليل احتطبتْ:

عبثَ الأوهامِ يداه

فتضاحكَ سحر ..

في عينيهِ الحالمتينِ براقصةٍ

تلهو في الحفل..

ويصرخُ مدعوّونَ كثيرونَ:

- برافو..آه!

في دفترِ عبدِ اللهِ صديقان

الأول سجّادٌ مشهورٌ جدّا..

ظاهرهُ الإيمان

والثاني هتّافٌ، وطنيّ،

يهتفُ في أعراسِ الريح ..

مع الأعلامِ يردّدُ في ساحاتِ القوم..

أناشيدَ الأوطان

عبدُاللهِ انطلقتْ في البحرِ سفينتُه

بعدتْ في غيهبِ ليلِ العمر..

عن الشطآن

وعلتْ أمواجُ الكونِ تفسّرها

جنحتْ فتمادى اليمّ يكسّرُها

نهبَ الموجُ العالي

أغصانَ تجارتِها

لا ضوء يرنّ بأشرعة الصاري

لا صوت سوى النايات..

ترجّع بحّتَها

أهزوجةَ شوقٍ من بحّارتِها

طالتْ أنّاتُ شكاواها

سكرتْ أنّاتُ مواجدِها

في غيهبِ غربتِها

وتمزّقَ دفترُ عبدِ الله

منْ أوراقٍ في الدفتر..

صاح صديقاه

الأولُ كفّرَه جدّا

والثاني خوّنَه جدّا

فمضى في قاع اليمّ وحيدًا..

يصرخُ: آه

وغدا في لعبةِ أسماكِ البحرِ شريدا..

يصرخُ: آه

ويتمْتمُ في عبثِ الأمواجِ نشيدًا..

تصطخبُ الأسرارُ بموكبِه

ويضيءُ الليلُ بملعبِه

يتلو قمرُ الأمواجِ عليهِ صلاة:

رب انصرْ عبدكَ..

- تاهتْ في شركٍ يدُهُ

بأخ يحنو

خلّصْ من أعماق الأمواج خطاه!

وعلتْ أنغامُ تلاوتهِ

حتى انبلجَ الفجرُ الوضّاحُ..

على دنياه

في هذي الساعةِ يطلعُ عبد الله

لاحتْ يدُهُ من شرفتهِ

عاينتُ جراحًا عالقةً في معصمهِ

وقرأتُ على ألواحِ الصبحِ ضياه

عبدُ الله ابتسمتْ شفتاه

ودعاهُ إلى فرحِ الكلماتِ صديقاه!

سفور في مواكب نور

- ١-

تدفق من علاه النور

يرسم ساحة كبرى

تهلّ على جناحٍ من مواكبهِ

جموعٌ منْ أحبّتهِ

تنادي "عبلةُ" الأصحاب

داعيةً لقهوتِها

ملوحةً لهم

بدخانِ موقدِها

تشيرُ إلى مرابعها، وتصرخُ: «هذه داري»

-٢-

تدفّق من علاه النور

يكشف ما يغطّي الكون

من حجبٍ وأستارِ

-٣-

تداعتْ في مواكبهِ

قلاعٌ عاتيات

من ظلام

وانحنتْ فيها

عواصفُ تمتمات

خلف أسوارِ

-٤-

أغاني النور

صادحة أشعّتها

ترنّ على خبايا العمر

مشرقةً

بأنغامٍ وأشعارِ

-٥ -

كأن بها حنين صبابة

سكرى

ترنّحها مدام الشوق

من دارٍ إلى دارِ

-٦ -

دروبُ بهائها

عمرٌ منَ الأشواق

تغزلُها مغازل

من جنونِ الجمر

في لهبٍ بموقدِها

وطبعٌ ساطعٌ

يكوي بهاءَ حضورِها

وسناء طلعتها

بخطّ مائل

في سرِّهِ العاري

- ٧-

ستأتي ساعةٌ

أحنو بها فرحًا على الدنيا

بما حملتْ بجعبتِها

لترسلَ في حنايا الكون

رنّةَ صوتِها العاري

كوجهِ الصبح

أسفرَ عن خبايا ليلِهِ

حيرى بأنوار .

- ٨-

ستضربُ في الرياح

سفينةُ العشّاق

مشفقةً على صوتي

وآخذةً أناشيدي

سميرتَها ونجواها

تهدهدُ في مهبّ العشق

أشرعةً من الأشواق

ساهرةً على أنغامِ رحلتِها

تخاتلُ أعينَ الرقباء

مخفيةً ملاعبَ سرّها

ما بينَ تيّارٍ وتيّار!

نجاوى بومباي

- ١-

شاءت له الأقدار

أن يقف مساء ٢٠١١/٤/٢٤

على شاطئ بومباي في الهند

رأى مدينة عدن البعيدة

تطل من الشاطئ العربي المقابل

لوح لها بيده الصغيرة

ردت تحيته بأحسن منها

رأى جواهر لال نهرو وعبد الناصر

يمشيان على مياه البحر

فتهدأ العواصف تحت أقدامهما

ولا يغرقان!

في بومباي يرى المرء العالم!

-٢-

قالوا له: "لا بدّ من صنعاء"،

فحلّ فيها سنوات ضيفا

على حدب الشاعر إبراهيم الجرادي،

وشاركه خبزه وصداقته

للشاعر العدني "محمد حسين هيثم"،

الذي رحل مبكراً عام (٢٠٠٦).

لوح لهما من الشاطئ، فلم يرياه.

-٣-

هاجت رياح الكون

تدفع في غياهب حضنها أبناءها

تمضي بهم خيل مطهمة
تليق برحلة الأحلام في أسفارها!
والهند فاتحة ذراعيها
بلهفة مدنف
وكناتُها تحنو على أطيارها
رقصت بموكبها
سيوف العشق لامعةً
وسيّدةٌ بمفرق حاجبيها
صرخةٌ حمراء
تحشدُ حولها أوهام فتنتها
تزغرد في هدى أقدارها
والغمد ممشوق يماني
يؤانسُ فتنةً في نارها
كم رتّلتْ أنّاتها سمراً
يُطمئنُ ما يهيج الروح

من مزمارها

كم أدبرتْ عنها المباهجُ

في ملاعب حزنها

والشوقُ يشعلُ رحلةَ الأوهام

في إدبارها

قرعتْ يدي تعبى على أبوابها

فَتَحتْ، دخلتُ

وفي فؤادي من جنون السحر

مسّ سمارها

-٤-

هي تعرفُ الأسماء

سمّتنا بما تعبتْ بأحرفه

أهالينا

وما باحتْ به الأغصان

مائلةً على أشجارها

سهرتْ تناجي ربّها

في أضلعي

قمر الليالي ساهرٌ معها

كنور البوح في مزمارها

وسفينة ترسو بميناء

ترجحها مخاوفُ

أُسميتْ "بومبايها"

سرحتْ بشاطئها

الدهور حزينةً

حزنَ الغريبة في فراق ديارها

-٥ -

"بومباي" ساهرةٌ معي

أرعى نجومي

في سماء مسارها ومدارها

وأرى على بعد البحار مدينةً

-٦٥ -

قلبي يراها في الليالي خاشعاً

أدمتْ مسامعَه

خطوبُ التيهِ في أخبارها

قلبي على عدن

تراني واقفاً حيران

يدعوني ابنُها المجروحُ من يأس

تعال .. و"هيثم " الغالي

بهيّ الصوت مؤتلق

أراه على جناح الفقد

من "بومباي" عن بعد

غريق بحارها

وأخي "الجرادي" حائر قربي

يدلّ يدي إلى درب

تلوّث في رماد

من عباب الموج

كي تصغي إلى صوت

يعيد صدى إذاعتها

مبلّغةً مصابيحَ الوجود

رنين أشعاري

على أسوارها

«عدن» تباعد عن دياجير الكلام

غموضه

وعدتْ يديّ بلوزها وبتينها

فاضتْ بحكمتها

جنونُ الحب بعض جنونها

وعلى نشيد غصونها

ضحكَ الصبا ثملاً

بما فاضت عليّ به كؤوس ثمارها

فمضى يفسّرُ في صرُاخ البحر

أوتاري

وما روحي سوى رقص المشوق

بفيض بهجتها، وسحر فتونها

عادتْ بي الأحلام

صادحةَ الرنينِ إلى شواطئها

دليلي في رحيلي من هدى أوتارِها

قلبي حنينٌ منْ بخور جبال لبنان البعيد

قصيدة باحتْ بما أخفي

من الأسرار في روحي

دمشق جناح قافيتي

ونوح "الهند" أغنيتي

إذا هلّت دموعي تنتشي بصلاتها

معَ شمعةٍ سهرتْ على درجٍ

تعلّق في حبال النور من أديارها!

- ٦-

أرنو إلى البحر العنيد

علتْ بظلمة دهرها أمواجُه

والهند تعرف كيف تقرأ

في الظلام

جنون عاصفة

عتتْ غضبى

على أمواجها!

هذا "جواهر لالها"

مسحتْ يداهُ جبينَ صوتي

مرجّعاً ترتيلَها أنشودةً

تاقتْ إلى أسمارها

يمشي الهوينى فوق موج البحر

في غضب العواصف غير هيّاب

فلا يخشى ظلامَ غمارها

عرباتُه سكرى

بأحلامٍ عذارى

هاجها شوقاً

إلى الصهباء من خمّارها

نادتْ "جواهر لالها"

والصوتُ يسكرُه الحنينُ لـِ "عبد ناصرها"

- خليليّ الأماني لم تزلْ خضراً

تطرّز رجعةَ الذهب الحرير

بشالها

والهندُ فاتنةٌ بساريها

نشيد العشق ملعبها

تميل على فنون بهائها

دنيا من الأمجاد صادحة

دليل الشوق في معمارها

- ٧-

«عدن» التي عرفت

على بعد

تفاصيلي

تنادي في الصباح بصوتها العالي

على سمارها

فتهيج ما يشجي الضلوعَ أسى

وما يدني الغريبَ إلى ملاذِ ديارها

قلبي على «عدن»

وما صوتي سوى سرّ

يرنّ مع المواكب

في خشوع صلاتها

وحنين ترتيل احتفال مآلها

لسهولها وجبالها

وينوحُ منكسراً إذا انكسرت

وجفّ غناؤها لخيولها وصهيلها

سرّ يهدّئ روعه

إشهارُهُ في موكبٍ

شدّ الرحيلَ إلى مراكبها

تميلُ على مباهج سحرها

نشوى بخابية القوافي

في هدى أسرارِها

- ٨-

بومباي ساهرةٌ معي

أرعى نجومي

في سماء مسائها ومدارها

ودمشق أغنيتي

وزورق شعري السكران

من ولهٍ

بخور جبال لبنان البعيد

قصيدة باحت بمعنى الليل

في خلدي

ونوحُ الهند قافيتي

بسحرِ أنينها نسجتُ أناشيدي

خيوطُ حريرِها حلم

يهلّ على شعاب الخوف في لغتي

تهدهدُه وعودُ العشق

في أشعارِها

- ٩-

ناري ترتّلُ في أعالي غيبِها

وترى عوالمَ من ضياءٍ لا يُرى

إلا بحضن بخورِها

شعْتْ بيَ الدنيا

بأنوارٍ تؤانسني

معاني العشق

في أنوارها

فتحتْ ذراعيها

تجرّ ذيولَ ساريها

وتوقدُ ظلمة المعنى

برقصة نارها

في ساحةٍ من رجع موسيقا حنون

في معابدها .. كنائسها .. مساجدها

ونور الله في أحجارها!

معرفة الدار بعد توهم

- ١-

بدل الوجود ضياءه
بظلام أيامي
وعتم توهمي.
مالت بشائره
تراقص
جرّة العسل الجميل
على خبايا علقمي
أغرودة هاجت
سنا فرح مصفّى
في فمي

- ٢-

كانتْ تراودني

صحارى رحلتي

ورشاقة الحزن الدفين

تراقص الخطوات في لغتي

فكيف أعاند الفرح الجميل

وكيف أخفي الحزن في صوتي

طريدا هام في الفلوات منتحبا

فتحت له خزائن من وداد الروح

حتى يحتمي.

- ٣-

صهلتْ خيول الروم

والأطيار في وُكناتها

أمّا جوادي فالجراح فراشه

"لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
ولكان لو علم الكلام مكلمي"

- ٤ -

تاهتْ دروبي
في غيابات الوجود
فكيف أعرفُ سرّها
والبردة المسمومة
انسدلتْ على جسدي
فكيف أباعدُ السمّ الرعاف
عن المعاني
في كيان قصيدتي –
في رمل صحرائي
أغذُ خطا
وأبحثُ عن دليل
في دجى ليل طويل
حالك متجهّمِ.

-٥-

بقراتُ أحلامي عجاف

والمقاديرُ التي عاندتها

حانتْ دفاترها

فكيفَ أباعدُ الحسرات

عن كأسي

وحلو شرابها من علقمٍ.

-٦-

طال انتظاري في غياباتي

كتابي حائر اللفتات

لا يهدي الغريب بناره

والدهرُ يرصد

ما يبوح به الكلام

من الرؤى

إني أعاند

ما يخط الدهر من رصد

خذاني صاحبيّ

إلى غد آت

وما أنا عن مكائده عم.

-٧-

إن الغزاة تجمعوا زمرًا

رأيتُ فلولَهم

في ظاهر البلدان

أسمع في الظلام صليلَهم

فألوذُ بالبرق الجليل

محاورًا شرفاته

في كل لحنٍ من أناشيدي

يحمحمُ نورُ رايته

بساحة غيمه

وتهلّ بالبشرى

سجاياه الكريمة

تقبس الأنوار فاضتْ بالمعاني

في ملاعب أنجمي.

-٨-

في العيد

تصدح نغمةُ الأعلام

ضاحكةً بموج نشيدها

ظلّ الرياح السود

يرصدها

فتخفق - غير آبهة –

مع العلياء

في كبرٍ عزيزٍ ماجد

صوتي يرتّلُ في مواكبها

وكم خنقتْ رياحُ العتم ترتيلي

بعصف من دسائسها

وكم نهبَ الظلام

وقار إيماني

يظنّ بمطمحي العالي

خسيس المغنم.

- ٩-

نجم الليالي طالع

يحنو على قيثاره

لنشيد طلعته على الشرفات

أهتفُ عاليا

للبرق يومض

في ضياء كلامه العالي

جناح البرق

أشرقَ في سنا لغتي

فمن صوتي ملاعبه

وأوراقي بطيف ضيائه

صدحتْ على وتر

من الإلهام في ساحاتها

مترنم.

-١٠-

هلّتْ أناشيدي على رملي

فأسكرَ لحنُها نفسي

كلامُ البرق

يومضُ أغنياتِ النور

منسكباً على يأسي

جَرَتْ من تحته

أنهارُ فتنتها بسلسلها

يطلّ محازبًا فرحي

فأعرف داره

من بعد طول توهمي.

قنديل معرّة النعمان

- ١-

طالت ظنونُ توهمي

وعلتْ عيوني حيرة

فمضيتُ أبحثُ عن يقيني

عاثرًا متهالك الخطوات

من باب لباب.

- ٢-

ليلى المريضةُ في العراق

تطيلُ شكواها

فتبعث في بريد مخاوفي

صورًا مؤرقةً

تهيم بلا جواب.

-٣-

تتداخلُ الظلماتُ في لغتي

فأخبط في غياهبها

أطيرُ على حصان جامح

وأضيعُ في لجج الضباب.

-٤-

لمدينةِ السحرِ الحلال

تتوقُ أحلامي

تراها من بعيد حادب

لاحت بها خضرُ القباب.

- ٥-

من لي بقنديل «المعرة»

أقتفي أنواره

نهبتْ دروبي ظلمةٌ حلكتْ

وتاهت خطوتي دهرًا

بأودية السراب .

- ٦-

نفسي تتوق

إلى كؤوس ضيائه

ظمئتْ

يطيرُ بها فتونُ مشوقها

وعلى مراشفها

أغاريدُ الشباب .

- ٧-

هو صاحب

ترعى عهودا من مودّته

بما ملكتْ يداها

من أفانين الوفاء

ومن أمانيها العذاب .

- ٨-

خذني إلى بغداد يا شيخي

عصانا في الشعاب

نشيدنا العالي

نهشُ بها خراف طريقنا

ونباعد العثرات

في أرض خراب .

- ٩-

حطم اللصوص

وعود بهجتنا

سفينتنا تميل

على ضفاف"فراتها"

مكسورة

فارشدْ خطاي

تناهبتْ صوتي

أغاني الحزن

كاويةً عويل الريح

في وتر الرباب

- ١٠-

يبستْ بساتيني

بليل مخاوفي

أمشي وأقدامي مقيدة

إلى رملٍ يباب.

- ١١-

طافتْ بأوتاري

ظنون من مصابيح الوجود

تراقص ضوؤها

في درب أوهامي اصطَفَاني

كي أراك وكي تراني

«ليت شعري ما الصحيح»

وليته وهم الشراب .

- ١٢-

يا صاحبي

والروح هامت في دياجيها

كلانا لا يرى من دهره

إلا سوادا تائه الفلوات

يعبره على جسر الشكوك

وكلّما نحّى حجابا

أسدلَتْ أيّامُه حجبا

بحرّاسٍ غضاب .

-١٣-

شيخي دعاني

صوتُه من حكمة فاضتْ بأنوار

رأيت به يقيني

بعد عثرته

سأقبس من محابسه

ملاعب للعصافير

التي تشدو على الأغصان

حائرة

تلاحقها السهام

وتقتفي تغريدها

سنن الحراب

-١٤-

يا صاحبا يسمو بمحبسه

رحى الدهر الخؤون

تدور مرجفة

تحاصرُ سورَنا بظلامها

وتراك مقتربًا

فتسحب جيشها

خجلا ذليلا في هزائمه

يطيش

بلا صواب .

-١٥-

يمضي الزمان

بجنده وفلوله

وبصيرةُ الأحرار

ضاحكة بمحبسها

تجر ذيولها العلياء

في كبر

يخطّ مسار رحلتها شهاب!

- ١٦-

شيخي رفيقي

في دياجي العمر

يرشد خطوتي

وإمامنا "عقل صحيح"

لو أشار نطيعه

سجادة الأحلام ملعبنا

وموكبنا أناشيد الصحاب

- ١٧-

أنا صاحبي

ما المحبس البادي

سوى عرضٍ يغطّي جوهرا

أنا شمعةٌ تحبو على أدراجه

تسقي الرمال بدمعها الحاني

«صبور» في الليالي

لو تمادت حلكة المعنى

"قؤول" في حواري

لو تمادى السيف في لغة الجواب.

- ١٨-

أنا صاحبي

بوابة الأيّام تشرحُ سرّنا

«هذا جناه أبي عليّ»

فكنتُ قنديلا

بهيج الضوء من مطر

تدلّى في ليالي الكون

يسلمه السحاب إلى سحاب !

بحضرتها البتول!

- ١-

مرّ الخريف

مبعثرا أوراقه

في طلعة الوادي

فلوّنَ بالشحوبِ

رسوم رحلتهِ

وغاب

على جواد من نحولْ.

-٢-

أمس افترقْنا
مسرعَيْن
بلا وداعٍ لائقٍ
فمضتْ على وقْع الخريف
حزينةً
غذّت خطاها
في غيابتها
وكنتُ على جناح
منْ أعاصير الفصولْ.

-٣-

مرّ الزمان
مغالبا
بردائه القاني
أنينَ أسى الوجود
ورنّةَ الكلماتِ

في أوراقِ أحزاني
وما خطّتْ يدُ الأيام
من حزنٍ ومن فرحٍ
على رمل المعاني
في كتاب توقّفي حيران
في أبوابِ إيماني

-٤-

ما للمغنّي قد أضاعَ نشيدَه!
ومضى
يلوبُ مفتّشا عن صاحبٍ
أنغامُهُ سكرى
بترنيمٍ حزينٍ شاحب
ما للمغنّي يسكبُ الأوتار
عاريةً
ويسحبها بقوسِ كمانهِ

في ساحةٍ من همسِ لوعته

بترجيعٍ خجولْ!

-٥ -

هابيلُ مذبوحٌ

بساحاتِ الحقول

تئنّ بالنورِ البهيجِ

على ورودِ صباحهِ

أنشودةٌ

تهذي بحمّى في يديه

مباعدا أنّاتها

مستسلمًا لترابهِ الغافي

بأحضان الوجود!

-٦ -

قابيلُ قلْ لأخيك:

إنّكَ آسفٌ

فلعلّه

من غيبةٍ طالتْ

يعود!

-٧-

يبستْ حقولُ الكون

والأزهار خائفة

تنامُ على بساطٍ

من ذبول!

-٨-

في كلّ يوم

ترتدي حلل المباهج

غيمةٌ عذراءُ

يثقلُها الزمانُ

بقيدِ رِفْعتها

فتعلو في جناح ودادها

وتهيمُ في صبرِ المشوق

على سريرٍ من وعود!

-٩-

عذراءُ مثقلةٌ برحلتها

تغذّ خطا

بواديها وتلّتها

مفتّشةً ظلامَ دروبها

وكهوفَ دنياها

لعلّ مغارةً فيها

تو ادعُها

وتمنحُها بقايا مزودٍ

تحمي به أحلامَها

طالتْ مخاوفها

بغربتها

وأثقلَ خطوها

زردُ القيود..

-١٠-

هي غيمةٌ عذراءُ

حالمةٌ

تسافرُ في قطارِ وجودها

كمْ تزرعُ الآتي

بضحكتها

وكمْ يكوي الظلامُ

بهاءَ مشيتها

فلا تجني

سوى حطب الحدود.

-١١-

تعبَ الرحيلُ

على جناحِ غيابها العالي

وطاف بها

حُداء موجع

مالت ترجّعُهُ مواكبُها

مداريةً بما ملكتْ منَ الأسرار

ألحاني

وحادبةً على دهري وأزماني

لتشرقَ

في سلافةِ روحيَ الهيمى

شموعُ تشوّقي

ورنينُ إيماني

يهيمُ على جناح الفجر

محتفلاً

بحضرتِها البتول!

درج الياسمين!

-١-

درجٌ من ياسمين
فاضَ بشرًا
وارتقى
نحو بياض شاهق الرؤيا
هلمّي يا عروسَ النور
في ثوب نقاء
واصعدي يا نفسُ
هذا موعدٌ طاب جنى
تيهي ضياء في رداء
من يقين .

-٢-

لا تسلْني

كمْ يشوقُ الروح

وعدٌ بلقاء

في كرومٍ من حنين !

-٣-

دربُ أيامي

قوافٍ ساهرات

في سلالٍ من غلال

غمرات، غمرات

هاجها معنى توارى

بحياء

خلفَ أستارِ هواها

كغريبٍ في ظلامٍ شاحب

تاه يداري شوقه

جمرا فجمرا

علّه يكشفُ

في غيبةِ موجٍ

لهْفَةً عابرةً

تمنحُ وعدًا

بحنان

لصديقٍ

تائهِ الروح حزين!

-٤-

صوتُهُ يعلو.. يصلّي

في خشوعٍ

ورجاء

ناظرًا نحو بعيدٍ

لا يُسمّى

في وجود

عاثرِ الرؤيا غريب

غفلتْ عنه الأغاني

لمْ تعرْ ساحاتِه

معنى وفاء

- أو هوى طاغي الأمارات -

مشوقا بحبيب

أسرفتْ أوهامه

في دهرِه

مدّتْ له الدنيا

جناحا من خيال

طائرًا

فوق بساطٍ من أمان

مطمئنّا سارحًا

كالريحِ يمضي

في سهولٍ وجبال

مخفيًا شوقًا جموحًا

في خبايا من رنين

سهرتْ

في درجٍ من ياسمين!

-٥ -

خطرتْ أنشودةٌ

تيّاهةُ الأردان

من واد لواد

وعلا صوت المغني

تائها بين ظلال

وضياء

أشرقتْ في خطوها

لمعةُ نور

خلعت في قبّة الكون

وشاحًا من حبور

فشربنا صفوها

دنّ وداد

وبلغنا سرّها

فوق بساط من سرور

وعبرنا موجها العالي

نغني صفوةَ الحسن سلافا

عتّقَتْهَا جرّة الأوهام

صهباء المعاني

من دهور لدهور

فغدونا من نداماها

وطرنا

من سماء لسماء

أدرك الفجر

حروف الشوق

في صمت الليالي

فتغطّى برداء

من نجو م

وأغاريد وفاء

وغفا في حضرة الكون

قليلا – من عياء -

وصحا يبعث في الروح

بقايا شوقها أغنية باحتْ بسرّ

في وعود من بهاء

مشعلا بالنور بستانًا

زهتْ أغصانُه

لوزًا وتفاحًا

فأغوى لوعة العشاق

في روح وطين!

-٦-

من دعاني؟

أسمعُ السمّار

عن بعدٍ

ينادون الندامى

بفتيلٍ وسراج

موقظينَ الطينَ

منْ غفْلته

بعدَ تناء في ظلام

أورقتْ أغصانُه

ذائعةً أسرارَه

بعدَ خفاء

في حشا صمتٍ عنيد

وصدى الكون

يردّ الصمت

من وادٍ بعيد

أبيضَ الهمس

بترجيع المعاني

في خبايا من رنين

سهرتْ في درج من ياسمين!

سلافة روح!

- ١-

أتدري كنه ترتيلي؟
تنقّلهُ على الأغصان
يسحبُ قوس حكمته
بأوتار الكمان
خجولةً حيرى!
حضوري برهة عبرتْ
وطارتْ فوق غيم سابح
حتى بلغْتُ بها
بلادًا من نخيل عامر

دامتْ مسرّتُها

فكلّ تلفتٍ منها

هديلُ حمامة

سرحتْ على غصنٍ رطيب.

-٢ -

رأيتُ دروبَها

تبكي على غيّابها

ليلى المريضةُ

في أراجيح المساء

ترتّبُ الأوهام

حالمةً بقنديل

يضيء دروبَ شرفتِها

فربّ إضاءة

هدتِ الطبيب.

- ٣-

جناح الليل

يطويها بمركبه

فتدفع موجه سكرانَ

ساحبةً ذيولَ حديثها

في موكبٍ من خضرة

نشوى

بما باحتْ به الكلمات

من رنّات جرّتها

وما باحتْ به النسمات

همسا

من مشوق

هاجه شوق قديم في تغرّبه

إلى دار الحبيب!

- ٤-

هي امرأة

تدلّى قرطُها

يروي حكايات

لينبوع المعاني

في كتابِ وجودها

حتى إذا انكشفتْ

سحائبُ سرّه

أخفى نجومَ وداده

في ملعبِ الليلِ الرهيب!

- ٥-

هي امرأة

تسرّحُ شعرَها

بنسيمِ شرفتها

أعالي الغيم تحضنها
أراقتْ في أباريق الصباح
فيوض عطر
من ضياء سوارها اللمّاح
فاغتسلتْ بضوء كلامه
لغةٌ من البوح الأريب!

-٦-

تبوح
بما تألّق في جناح حروفها
من توقها العالي
إلى همس رخيّ الروح
كالنسمات في غصن
تميلُ به على أنغامها
طربًا
بما سمعتْ
من الكلمات والأسرار

يسكبها ربيعٌ ساحر

من جرّة الدنيا

ليسقي من مدامتها

نشيد العندليب.

-٧-

هي الخطوات

مرّتْ في الدروب

بهيّةً

أسَمِعْتَ وقْعَ نشيدِها؟

صدَحَ الرؤى

نشوى بطلعتها

لها في كلّ رابية

حضورٌ أخضرُ اللفتات

ترسلُه أنيسًا حادبًا

يدعو الغريب إلى الغريب!

-٨-

ظلال من نحيب

أسرفَتْ في كسرِ رحلتِها

على أبوابِ بستاني

مراقصةً عباءتها على فمها

ونادتني..

سألتُ: منِ المنادي

من يهزّ السور يا دنيا؟

وعاد الصوت يدعوني

وكنتُ على سرير الدهر

في حمّى

أجرّ عناده متنهّدا

متكسّر الرؤيا على عرباته

حمّى تدثّر طلعة الوادي

لها في كلّ منعطف دبيب.

- ٩-

تهلّ مواسم الأحلام

نادبةً وعودَ نشيدها

ناحتْ على يبسِ الغصون

حمامةٌ

ونأتْ عنِ الأوطان

تائهةً

جناح هديلها

يطوي تغرّبَها

ظلال من نحيب غامض

ملأتْ سلال غلالها

خوفًا

فعادتْ في مواسم حزنها

تخفي الغلال وفيرةً

تطوي الجناح

على سلال من نحيب.

- ١٠ -

- أجبني!

أيها الدهرُ العنيد

أجبْ

تنادي .. لا مجيب.

- ١١ -

تعابثُ موجةً في النهر

كاد يضيعُ صنْدلُها

رأته معلّقا

لو شاءتِ الأمواج

تغرقه إلى قاع سحيق

كيف يعرفه الأمير؟

وكيف يحمله دليلا

في ظلام وجودهِ

متلمسًا بقياسهِ

أملاً يخيب.

-١٢-

تألّقَ في ربابِ بهائها

قوسُ الصباح

فعافتِ الظلمات

مسرعةً تحثّ خطا

إلى ألقٍ

يذيبُ حنانَهُ في خطوها

فتمدّ أشرعةً

تهلّ بها

على دنيا قستْ

فشرابُها كدرٌ

ورقصُ زهورِها حطب

بألسنةِ اللهيب.

-١٣-

دعاني صاحب

من نشوة النعناع

في ليل القصيدة

كيْ نرى قمرًا

يهلّ من البعيد

رأيتُه

فالنورُ ملءُ سريرتي

وعلى موائد ضوئهِ

شربي يطيب.

-١٤-

مع الأتراب

يركضُ ضاحكا

طرقاتُهُ فرحٌ

تضوعُ بهِ

فيمضي نحو غايته

مدينتُهُ القصيدةُ

رتّلتْ بمراحِهِ

أنشودةً

ملأتْ جناح الشوقِ

في الكونِ الرحيب.

توضيحان غير رسميين
في تفسير سانشو وسيّده د.

"تعاون في عام ٢٠٠٩

مع وفاء الاستانبولي

في دراسة الأدب العالمي

فتحاوروا حول رواية "دونكيشوت".

- أ -

نفي النفي في تفسير سيّده

- ١-

لم يكن مهرجاناً

تبارى على حبله

لاعبون

هواةٌ ومحترفون
يحيّي بهم
صولجان حكومته
ساحبًا موكبًا من ربيع
تهيم به كلّ ساحْ.

- ٢-

لم يكن فارسًا طيّبًا
ظافرًا في معاركهِ
ضاقَ ذرعًا
بما ينفثُ الخبثاءُ
بموكِبِه
مبدلين:
السواد الموشّى دموعًا
بما يتألّقُ منْ خضرةٍ
في الأماني وزهو الفلاحْ.

-٣-

لم يكنْ عسكريّا غشيمًا

أضاعَ مهابَتَه

في غبار هزائمه

فارتدى:

من سرابِ هتافاته

معطفا واسعًا

وتدلّى على صدرهِ

من وسام الجنون

وشاحْ.

-٤-

لمْ يكنْ ساترًا عروةً

في قميصٍ وضيع

على جنبهِ

لمعةٌ

من حديد غرور صفيق
وفي صوته لجة
من معادن فائرة
عن خبايا سلاح.

-٥-

لم يكن مخبرًا كاذبًا
فاشلاً يستغلّ وظيفته
مبدلاً: بابتسامة جارته
وبياضِ الورود
بسلّة شرفتها
حرقةً من سواد
يغطّي بحلكتهِ
ألقَ الكلمات
وتلويحةً من يدٍ
غرقتْ في غياهبِ أمواجها
لا تبينُ بغيرِ الصياحْ.

-٦-

لم يكن أحدًا .. أبدًا

كان شكلًا غريبا

شبيهًا بأبناء آدم

- لولا بقايا غموض

تراقصَ في شفتيهِ

كدورةِ شمسٍ تغيبُ

فترفدُهُ من جديد

روافدُ دفّاقةٌ

من جراحْ!

- ب -

تفسير سانشو.

-١-

لم يكنْ كاتبًا

غارقًا في حماقتِهِ

مادحًا هاجيٍا

في صناديق أسرارِهِ

حانةٌ من ذنوب

وريشتُهُ في دواة

تئنّ بما طمرتْ

منْ رزايا صحاحْ.

-٢ -

لمْ يكنْ طاويًا جرحه

حاملًا في خبايا وداعتهِ

سرّ كونٍ جميل

يغذّ الخطا

حالما نحوهُ

فجأةً!

باعهُ صاحبٌ خائنٌ

بثلاثينَ منْ فضّةٍ

فتدلّى على صدرِهِ

نورُ وقفتِهِ

أرجوانا بهيّا

تدَفّقَ يسقي عطاشَ البطاحْ.

-٣-

لمْ يكنْ هائمًا شاحبًا

يتمادى ظلامُ الحياةِ

بأمواجِ ليلتهِ

فيكسرها

مرخيًا من سدولِ الخطايا

على روحِهِ

مركبًا تائهًا

في عويل الرياحْ.

-٤-

لمْ يكنْ عاشقًا

تاهَ في ليلِ صحرائهِ

وأضاعَ دروبَ حبيبتِهِ

فتغطّتْ برملِ توهّمِهِ

لا بنفسج يألفها

لا أقاح..

-٥-

لمْ يكنْ راحلًا خائبًا

جنحتْ شرفات المساء

بمركبِهِ

فشكا دهرَهُ

واستكانَ مهيضَ الجناح.

-٦-

لمْ يكنْ ثملاً متعبًا

غائبًا في فنون محاورةٍ

ملأ الدهرُ منها

جرارًا تفيضُ أنينًا

تلملمُ منْ جمرةِ الشمسِ

- عند المغيبِ - فنونًا

يوشّي بها ندبَهُ

فاقدًا خلّهُ

ونديمَ مشاربِهِ

في عراءِ ملاعبِهِ

شاربًا في ابتهاجٍ فصيح

كؤوسَ النواح.

- ٧-

لمْ يكنْ أحدًا أبدا

كان وجهًا

مسحتُ دموعًا

على وجنتيهِ

أمام مرايا مهشّمةٍ

تحدّثها في خشوع

وتقرعُ ناقوسَ ضحكتِها
بأحاديثِ أصحابِها
في قطارِ الصباح!.

شتاء من دون صخر!

-١-

غريبٌ تائهٌ في سرّهِ
حارتْ به الطرقات!
فاختنقتْ بحيرتها
وعودُ حنينهِ
والأرضُ ضيقةٌ على أحلامهِ
حارتْ به الطرقات
كيفَ يغذّ في ضيقٍ خطاه؟

-٢-

رأى امرأةً
تعابثُ وردةً

في شرفة الدار البعيدة

صاح: يا قمرًا

يرتّلُ في مواكبِ ليله

أسرارَه

متدفقًا في نهر نور من ضياه!

-٣ -

وعلّمه الرماية راضيا

حتى استقام على التلال مكابرا

متطاولاً

واشتدّ ساعدُهُ

فراح يرى معلّمَه

صغيرًا عابرًا

حتّى إذا عثرتْ به خطواتُه

بين الوهاد

وصاح من ألمٍ .. رماه !

-٤-

جريح في مفاوز من رمال

منْ يقولُ لأهلهِ؟:

إن الفتى يقضي

وما هذا احتفال

في ملاعبه

فقد غطّى الغيابُ دروبَهُ

والروحُ تائهةٌ

تضرّجُها دماه !

-٥-

هي امرأة

مهشّمةٌ مراياها

دعوها تنتحبْ

جرحتْ ليالي الدهر

كحلَ عيونِها

ولكلّ دهرٍ "صخرُهُ"

ونحيبُه

نشتو ولا يأتي

لينحرَ دفأه في ليلِنا

فدعوا النحيبَ على هواه!

عنوان شاعرا!...

-١-

رأيت النور

في علياء بهجته

يضيء مفازة الأيام

في ليلي وأكواني.

-٢-

فرحْتُ بما يهلّ على وجودي

من مباهج رحلتي

في بحرها الصخّاب أسرار

تميل بساحةِ الأمواج

تملأ سلّتي

سفرًا طويلاً

في عباب الأزرق العالي

وتنقش في بساط وعودها

ما تنتشي بضيائه الأعماق

من صدفي ومرجاني.

-٣ -

كمانٌ سارح

معَ أنّةٍ ....

سحبتْ تفاصيل التوهّم

من دروب ظنون نفسي

في بحار مخاوفي

فأضأتُ مصباحي

نسجتُ حنين ضيائه

نجوى لأنغامي

يطيرُ بها بساط الريح

فوق مسارح الأحزان

في عتم الليالي

ساحبا فرح الوجود

على جناح

من سراب تشوّقي لنشيده العالي

يهلّ مطمئنًا ساحاتِ وجداني!

-٤-

غفوت على تلال

من ربا وطني

ونحلُ الحبّ

يقبسُ من وساداتي

مطرّزة بأشكالي وألواني

غناء ساهرا

لملاعب الزهر البهيج

يمدّها صورًا ملوّنة

بطيب فضائه الحاني

وإيماني

- ٥-

بساط الريح

يحملني جناح حبوره

كمْ هام في وادٍ بعيد

كم حنا متراقص اللفتات

في صبح تنقّلهُ السواقي

في دروبٍ منْ تعرّجها

على أنغام رحلتها

بأوديةٍ تنامُ على وسادتها

أغاني الخضرة الأولى

مرنّحةً بشوق مدامها

أغصان بستاني!

-٦-

أهيم مع القصائد

في صحارى قيس ليلى

خائفا ...

من كيد أصحابي

وخلاني.

-٧-

أراقبُ في جنون الشعر

أغصانا منَ الأوهام

حادبةً على الليلِ الطويل

أرى هديل حمامة

تحنو على وجدي

وداعتُها

فنونُ هديلها من سحر أنغامي

وألحاني!

- ٨-

أراها في سجايا

من وداعتها

ضياء فاتنا

سكرتْ بهِ روحي

بغربتها، وظلمة دهرها

هدلتْ ..

بشوق العاشقين حنينها

حتى غدتْ ..

بهديلها الحاني

منازل أضلعي

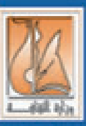
ودليل عنواني!

الفهرس

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٢م
عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





www.syrbook. gov.sy

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٢م

سعر النسخة ٩٠ ل.س أو ما يعادلها